فَرَسان

تقـــع جـزر فـرسـان علـى خـط الطـول ٥٥َ ٤١ْ شرقاً، ودائرة العــرض ٤٩َ ١٦ْ شمالاً، وتـشكل أرخبيـلاً من الجزر المتناثرة في البحر الأحمر مما يلي منطـقة جازان جنـوب غرب المملكـة، وتبعد عن مدينة جـازان نفسها بحوالي ٥٠كم إلى الجنوب الغربي. وتتكون من عدد من الجزر الـصغيرة والكبيـرة التي تربو علـى ثمانين جزيرة مأهولـة وغير مأهولة. على أن جزيرة فرسان الكبرى، أو الأم، هي أكـبر هذه الجزر، ويـبلغ

جانب من جزيرة فرسان

طولها ٧٥كم، وعرضها ٣٠كم. ثم تأتي بعدها من حيث المساحة والسكان جزيرة فرسان الصغرى، وتعرف محلياً باسم السقيد. يليها في الأهمية جزيرة قُمَّاح، وهي من الجزر المأهولة أيضاً، ولكن على نحو أقل بكثير من سابقتيها. وجميع جزر فرسان المأهولة وغير المأهولة تقع في المياه الإقليمية للمملكة، وتتبع منطقة جازان من الناحية الإدارية.

عرفت جزر فرسان الاستيطان المبكر منذ عصور ما قبل التاريخ، واستمر الاستيطان بها مطّرداً في العصور القديمة، وعصر ما قبل الإسلام، ثم في العصور الإسلامية حتى اليوم. واشتهرت في المصادر التاريخية والجغرافية بأن سكانها كانوا من قبيلة تغلب، يدينون بالنصرانية، وفيهم شجاعة وبأس. كما اشتهرت بتجارتها مع الحبشة واليمن. واستمرت في نشاطها التجاري حتى العصور الحديثة بحيث وصل ذلك النشاط إلى أوروبا والهند وخلافهما، لا سيما في تجارة اللؤلؤ التي اشتهرت بها بوصفها من مغاصات اللؤلؤ المعروفة في البحر الأحمر. وقد مارس سكانها الغوص في مياهها، وفي مياه الجزر القريبة منها بحثاً عن اللؤلؤ، بل إن نشاطهم في صيد اللؤلؤ تعدى فرسان وما جاورها إلى جزر دهلك التي تقابل فرسان من جهة الغرب مما يلي البر الإفريقي. وقد انعكس ذلك النشاط على أهل الجزيرة، فظهر منهم، حتى عهد غير بعيد، أثرياء

مسجد النجدي بفرسان

كبار، تركوا بصماتهم على رقي الجزيرة وتحضرها. فأقاموا منشآت معمارية فارهة، ما تزال قائمة، مثل بيت الرفاعي، وبيت النجدي، والمسجد الجامع المنسوب للنجدي، وغير ذلك من المباني والمنشآت.

وقد كان لجزر فرسان إلى جانب أهميتها التجارية أهمية أخرى، اكتسبتها على مدى العصور بفضل موقعها القريب من اليمن والمخلاف السليماني، تلك هي الأهمية الاستراتيجية التي هيأتها لتكون قاعدة بحرية متقدمة استخدمت من قبل عدد من القوى العالمية بدءًا بالمماليك الجراكسة، وانتهاءً بالإنجليز الذين كان لهم بها وجود أثناء الحكم الإدريسي للمنطقة.

وعلى الرغم من طول فترات الاستيطان بجزر فرسان، والأهمية التجارية والاستراتيجية التي تبوأتها، لم تنل هذه الجزر حقها من الدراسات الآثارية. فالذي وصل إلينا من كتابات عن آثارها لا يتجاوز غالباً الإشارة إلى ما هو معروف ومشهور من أطلالها الدارسة، وآثارها الشاخصة، وذكر بعض ما فيها من بقايا مبانٍ وقلاع ومساجد قديمة وآبار معطلة مهجورة ونماذج محدودة لبعض الكتابات العربية القديمة (قبل الإسلام)، وهي في الغالب متأثرة بفعل الرطوبة. كل ذلك من دون الإشارة إلى ما فيها من مواقع أثرية مهمة تناسب كبر مساحة الجزيرة،

حمام قديم بمنزل أحمد المنور الرفاعي بفرسان

وطول مدة الاستيطان بها، مما يجعل تلك المواقع تسترعي الانتباه، وتكون جديرة بالتنقيب الآثاري والدراسة.

ولعل أفضل ما كتب عن المواقع الأثرية بفرسان هو ما تضمنه التقرير المبدئي الثاني عن مسح المنطقة الجنوبية الغربية الذي أعدته الإدارة العامة للآثار والمتاحف بوزارة المعارف ضمن برنامجها الخاص بالمسح الآثاري الشامل لأراضي المملكة. وكان ذلك التقرير قد أعد بناءً على زيارات وأعمال ميدانية قامت بها بعثة إدارة الآثار لمناطق جنوب غرب المملكة، بما فيها جزر فرسان، في الفترة من ٢٧ يناير إلى ١١ أبريل سنة ١٩٨٠م. فقد قدم المسح نبذة مفيدة عن مواقع أثرية بجزر فرسان سبق لها أن ذكرت في مؤلفات غير متخصصة، إلا أن التقرير يضيف جديداً فيما يتعلق بتلك المواقع من معطيات أثرية، وهذه خلاصة ما يضيفه التقرير من معلومات جديدة.

عرض التقرير للمواقع الأثرية الرئيسية في فرسان، وأبان عن موقعين رئيسيين فقط، هما موقع وادي مطر، وموقع غرين.

موقع وادي مطر: يتصف الموقع بوجود كميات كبيرة من أساسات لمبان دائرية ومستطيلة، لوحظ لبعضها عضادات أبواب مكونة من قطعة صخرية واحدة، ويحمل اثنان منها كتابات مسندية جنوبية. بالإضافة إلى مبان أخرى كبيرة وصغيرة مشيدة من الصخور المرجانية الضخمة التي قطعت من تحت البحر، ويصل ارتفاع جدران بعضها إلى مترين. أما الأواني الفخارية فتقتصر على الأنواع المحلية التي تتميز بعض نماذجها بقواعدها المستديرة، وبألوانها التي يغلب عليها البني والأحمر، وبعجينتها الممزوجة بالقش، وبزخارفها البسيطة المتمثلة في خطوط متموجة. وتتميز مجموعة كبيرة مما تم جمعه من تلك الأنواع، بوجود ما يدل على استخدام المقابض الرأسية، والبطانة اللونية المنعمة أحياناً، والصقل اللامع، والزخرفة بالخطوط المضلعة. ويشير التقرير إلى أنه تم العثور في موقع وادي مطر على بقايا لخبث المعادن، وحجر السبج وهو الزجاج البركاني، ونحو ذلك.

موقع غرين: ثاني أكبر المواقع الأثرية بجزيرة فرسان، ويحتوي على أساسات مبان من كتل ضخمة من الصخور المحلية. وأما المواد الفخارية التي عثر عليها في الموقع، فتشبه تلك الأنواع التي سبق أن أشير إليها في موقع وادي مطر، باستثناء كسرتين هما من الفخار النبطي المستورد، والمتميز بزخرفته وطلائه.

ويلي هذين الموقعين عدد من المواقع الصغيرة، أهمها: قلعة لقمان، وقصر وَكْدومي، وتشتمل على مخلفات معمارية شيدت بالأسلوب نفسه الذي شيدت به تلك الأبنية التي سبقت الإشارة إلى أساساتها ومخلفاتها المعمارية في موقعي وادي مطر وغرين. ولا يقتصر الشبه بين تلك المواقع الصغيرة، وبين موقعي وادي مطر وغرين على المخلفات المعمارية، بل يتعدى ذلك إلى باقي المعطيات الأخرى التي وجدت فيها.

وكشف المسح الآثاري عن مواقع أخرى صغيرة لم يطلق عليها أسماء محددة، وإنما أعطيت أرقاماً، هي: (٢١٧-٨٨)، (٢١٧-٩١)، (٢١٧-٩٣/ ٩٤)، وتتميز بوجود أكوام من القواقع والأصداف المختلطة بنماذج من كسر الفخار الممزوجة عجينتها بالقش أو الأصداف. ويغلب على ألوانها اللون الأسود والأحمر والبني. وقد نفّذت البعثة مجساً اختبارياً في أحد هذه المواقع الصغيرة، تبين من خلاله وجود ثلاثة مستويات من التعاقب الطبقي بسمك ٤٠سم، وكُشف فيه عن صف من الأحجار لجدار عرضه ٥٠سم، ولم تتضح الشواهد الاستيطانية في موقع المجس الاختباري إلا في المستوى الثاني الذي كان قوامه طبقة رمال حمراء سمكها ٣٥سم تقريباً، وتحتوي على مخلفات استيطانية متنوعة.

فسقية تريم

موقع فسقية تريم على بعد كيلومتر واحد تقريباً إلى الشرق من ساحل البحر الأحمر، وعلى بعد ٢٤كم شمال المويلح، على خط الطول ١٥َ ٣٥ْ شرقاً ودائرة العرض ٥٥َ ٢٧ْ شمالاً بمنطقة تبوك. والموقع قرية صغيرة تحتوي على مجموعات من الأبنية الحجرية على تلال جبلية صغيرة قليلة الارتفاع تنتشر فوقها مجموعات من الأبنية الحجرية. كما يحيط بالموقع عدد من الأودية والشعاب التي تنحدر جميعها باتجاه البحر الأحمر غرباً.

وترتفع الآثار الباقية للقرية فوق المصاطب التي تقع على قمم التلال الجبلية، ويتكون الموقع من أبنية وجدران وبركة ودوائر حجرية.

الأبنية والجدران: بقايا أساسات وجدران لأبنية من الحجارة الجرانيتية، وهذه تقع في الجزء الشمالي الغربي من فسقية تريم، والبناء الرئيسي في هذا الجزء من الموقع على قمة هضبة جبلية صغيرة مميزة، ولا تزال أساساته وجدرانه قائمة

على ارتفاعات مختلفة، وهي مشيدة من الأحجار الجرانيتية الصغيرة، من صفين من الحجارة رصت بينهما حجارة صغيرة لملء الفراغات بين واجهتي الجدار الداخلية والخارجية. والبناء مربع التخطيط تقريباً، تبلغ أبعاده حوالي ٣٤م×٣٥م، وطول الجدارين الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي ٣٤م، وطول الجدارين الشمالي الغربي والجنوبي الشرقي ٣٥م، ويبلغ سمك الجدار ٦٠سم، وارتفاع الباقي منه حوالي ٦٠سم، ويساند جدران البناء الخارجي ثماني دعامات دائرية بنيت من الحجارة الجرانيتية ومن عدة مداميك أو صفوف رصت بينها حجارة صغيرة لتقوية المداميك، وهي دعامتان في كل من الجدار الشمالي الغربي والجدار الشمالي الشرقي، ودعامتان في واجهة الجدار الجنوبي الشرقي، وأربع دعامات دائرية في واجهة الجدار الجنوبي الغربي.

ويبلغ قطر الدعامة الواحدة ١٨٠سم، وارتفاعها ٤٠سم. ويقع المدخل الرئيسي للبناء في منتصف الجدار الجنوبي الغربي، ويبلغ عرض المدخل ٢٨٠سم يؤدي إلى ردهة مستطيلة الشكل يبلغ طول جداريها الشرقي والغربي ٥,٧٠م، وعرض الجدار ٧٠سم، بني من الحجارة الجرانيتية، والبقايا الظاهرة منه تبدو على ارتفاع ٢٥سم، وتؤدي الردهة إلى فناء مكشوف. وقد عثر بين جدران البناء على بعض الحجارة التي نحتت عليها بعض الرسوم الحيوانية.

المباني: وهناك مجموعات من المباني المشيدة من الحجارة الجرانيتية في غير تماثل وتماسك، بعضها ذات تخطيط مربع، وهي تشبه من ناحية الغرض من بنائها الدوائر الحجرية، وربما استخدمت حظائر ذات مداخل، وهي مشيدة من نفس نوع الحجارة التي بنيت منها الدوائر الحجرية

أحد الجدران في فسقية تريم

بقايا أبنية في فسقية تريم

وبنفس طريقة البناء، وأخذت التخطيط المربع والمستطيل، وتبلغ أبعاد بعضها ١٥م×١٥م-٦م×٥م- ٢٠م×٢٨م.

وهناك بناء مربع الشكل بني من الحجارة الجرانيتية من صفين من الحجارة، رصت بينهما حجارة صغيرة، تبلغ أبعاده ٢٠×٢٠م، وأقيم على الركن الجنوبي الشرقي لهذا البناء بناء صغير مستطيل الشكل ٦×٥م. وهذا البناء يشبه من ناحية الغرض الدوائر الحجرية الكبيرة التي تحتوي على دوائر حجرية صغيرة.

الدوائر الحجرية: هناك دوائر حجرية متعددة، ومن أهمها دائرة حجرية كبيرة تقع إلى الشمال الشرقي من الموقع، وتشغل مساحة يبلغ قطرها ٤٦م، مشيدة من الأحجار الجرانيتية في غير تماسك وتماثل، ولم يشاهد أثر لاستخدام المونة بين المداميك، ويبلغ سمك قطر الدائرة نحو متر واحد، والبقايا الظاهرة منها تبدو على ارتفاع نصف متر تقريباً، وتتصل بها دائرتان صغيرتان، إحداهما تقع على قطر الدائرة الشمالي الشرقي من الداخل، والثانية على قطر الدائرة الغربي من الخارج، ويبلغ قطر كل من هاتين الدائرتين أربعة أمتار وهما مشيدتان من الحجارة الجرانيتية غير المشذبة وبدون مونة بين المداميك، والأجزاء الباقية منهما تظهر على ارتفاع ثلاثة مداميك، ولا يوجد في هذه الدوائر أي آثار لنظام الأسوار الدفاعية. وهناك دوائر حجرية صغيرة ومنفصلة في شكل مجموعات، مشيدة من الحجارة الجرانيتية في غير

تماسك وتماثل، وبدون استخدام المونة، وبعضها متهدم، تظهر على شكل أكوام أو رجوم حجرية، وتبلغ أقطار بعضها ٤×٥٠,٤م. وهناك أيضاً دائرة حجرية كبيرة تقع في أسفل الواجهة الجنوبية الغربية لفسقية تريم، وهي تشغل مساحة يبلغ قطرها ٣٧م من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، و٥٠م من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، وتضم بداخلها دائرة حجرية صغيرة متهدمة. وهناك دائرة حجرية صغيرة منفصلة تقع على قمة الهضبة الجبلية الشمالية الغربية، وعلى مسافة ٨٠٠م تقريباً من فسقية تريم، قطرها ٤,٣٠م، وارتفاعها ١,٢٠م، وسمك جدارها ١,٢٠م.

البركة: مستطيلة الشكل، مشيدة من حجارة الأودية بيضاوية الشكل ذات لون يميل إلى الخضرة، وقد ثبتت الحجارة بالمونة وغطيت الجدران بالقصارة، وتبلغ مساحة البركة من الداخل ١٨م×١٩م ومن الخارج ١٩م×٢٠م، ويبلغ سمك جدرانها ١,٥م، وارتفاع الأجزاء الظاهرة من الجدران من الداخل ١,٧٥م، ومن الخارج ٥٥سم. وتوجد قناة ماء من الحجارة التي ثبتت بالمونة، تقع في الجهة الشمالية من البركة تمتد على طول ٧,٥٠م، ويبلغ عرض القناة ٣٨سم عند مصبها في البركة، ويبلغ عرض القناة في بعض الأجزاء ٤٧سم، وقبل وصول الماء إلى البركة عن طريق هذه القناة بمسافة ستة أمتار بنيت مصفاة المياه وترسيب الشوائب والحجارة والتراب قبل وصول مياه الأمطار للبركة، وتبلغ أبعاد المصفاة ٧٤سم×٧٧سم، وهذه البركة تقع في الجزء الجنوبي الشرقي لفسقية تريم.

وتُعَدّ حالة الموقع بشكل عام جيدة باستثناء بعض الانهيار في البناء الرئيسي بفسقية تريم. وهناك بعض الرسوم الحيوانية على بعض الحجارة المستخدمة في عملية البناء بالموقع، وتنتشر فيه الكسر الفخارية والأدوات الحجرية، ويرجع تاريخه إلى العصر الحجري القديم والهلينستي.

فَيْد

فيد بلدة صغيرة وموقع أثري إلى الجنوب الشرقي من منطقة حائل، وتبعد عن مدينة حائل حوالي ١٣٠كم وتقع على خط الطول ٣١ َ٤٢ْ شرقاً ودائرة العرض ٠٧ َ٢٧ْ شمالاً. وتُعَدّ فيد من أقدم المستوطنات في الجزيرة العربية. وهي في سهل فسيح إلى الشرق من حرة سلمى. وكانت فلاة من الأرض بين قبيلتي أسد وطيء في الجاهلية،

وأقطعها الرسول ﷺ زيد الخيل فأصبحت حمى لقبيلة طيء. وورد ذكر فيد في الشعر الجاهلي، يقول لبيد بن ربيعة العامري:

مُرِيَّة حلت بفيد وجاورت
أهل الحجاز فأين منك مرامها

وقد بدأت فيد تنمو بوصفها مدينة إسلامية منذ بداية القرن الأول الهجري لوقوعها على طريق الحج من الكوفة إلى مكة المكرمة وورد في بعض المصادر أن عثمان بن عفان # أول من أحدث عيوناً وزراعات في فيد. وتذكر المصادر أن الديلم مولى يزيد بن عمر بن هبيرة أول من احتفر عيناً في فيد وأساحها وغرس عليها، فكانت في يده حتى قام بنو العباس فقبضوها من يده. ووصف الجغرافيون فيداً في القرن الثالث الهجري بأنها كثيرة الأهل، وفيها قناة يزرع عليها، وينزلها عامل طريق الحج، وفيها مسجد جامع ومنبر وقصر للسلطان وبساتين وحصون وبرك وعيون وآبار منسوبة إلى بعض خلفاء وأمراء بني العباس. وتذكر المصادر التاريخية أن أبا جعفر المنصور حفر خندقاً حول فيد سنة ١٤٥هـ لحمايتها من الاعتداءات وظل قائماً سنوات طويلة حتى دَرَسَ.

ووصفها الجغرافيون في القرن الرابع الهجري بأنها مدينة صغيرة ذات حصنين وفيها حمام وبركة، وبها عيون وبرك، وعليها أبواب من حديد، وأنها مدينة عامرة بالأهل وحركة الناس في جميع فصول السنة. وَوُصِفَ أهلها بأنهم ثقات يتعايشون مع الحجاج الذين يودعون أزوادهم عندهم، وتكثر فيها التجارات عند مجيء الحجاج إليها، إذ تزداد المبايعات والتجارات وتتوافر فيها الأعلاف للدواب والأغنام والسمن والعسل وغير ذلك.

وقد ساعدت عمارة فيد الحصينة على جعل البلدة بمعزل عن كثير من غزوات القبائل والقرامطة، ولكن البلدة أفل نجمها في العصور الإسلامية المتأخرة وأضحت مجرد مورد للمياه بسبب تحول طريق الحج عنها إلى حائل. وقامت بالقرب من الموقع الأثري بلدة فيد الحديثة التي ذكرها بعض الرحالة الغربيين في القرن التاسع عشر الميلادي، وقليل منهم ذكر أطلال فيد.

وتتركز الآثار الباقية في موقع فيد شمال البلدة الحديثة بمسافة ١,٥كم، وتصل مساحة الموقع الأثري حوالي ١,٥كم طولاً ومثله عرضاً، عدا الآبار والقنوات الأرضية الموجودة على أطراف

الموقع. وتتداخل المنطقة الأثرية مع البلدة الحديثة التي ما تزال بها بقايا قنوات وعيون قديمة.

قصر حراش: من أبرز المعالم الأثرية بقايا حصن فيد المشهور والمعروف حالياً باسم قصر حُراش. وهو تل كبير من أحجار البناء الناريّة السوداء الناتجة عن أنقاض الحصن وأسواره وبواباته ومرافقه المختلفة. ويبدو أن الحصن كان يرتفع في بنائه إلى دورين وأكثر.

أما آثار مدينة فيد التاريخية فهي تقع في الجهة الغربية والشمالية من الحصن، إذ تشاهد امتدادات جدران المنازل واتجاهات الشوارع المستقيمة والمتقاطعة، كما يمكن مشاهدة آثار لمسجد كبير. وهناك عدد من الآبار القديمة التي تنتشر في المنطقة الأثرية وحول آثار الحصن وفي الوادي القريب من البلدة الحديثة،

آثار باقية من بوابة حصن فيد

وبعضها ما تزال صالحة للاستعمال. ويوجد في الموقع آثار لبركتين غطتهما الرمال، إحداهما مربعة طول ضلعها ٣٥م، والأخرى مستطيلة مساحتها ٣٠م×٢٠م.

وعلى سطح الموقع تنتشر الكسر الفخارية والخزفية، بالإضافة إلى أجزاء من الرَّحِيّ الحجرية بأحجام مختلفة وهي تدل على حيوية المنطقة في العصور الإسلامية المبكرة.

حصن فيد المعروف بقصر خراش